سلسلة الفوائد المنتقاة من كتب العلماء (٤)

غذاء الألباب

من

لباب الآداب

(فوائد منتقاة لروائع الأشعار والحكم والآداب من كتاب لباب الآداب)

للأمير

أسامة بن منقذ رحمه الله

انتقاها لنفسه

(ونشرها لمن أراد الإنتفاع بها)

أبو سهيل رضا الحمراوي

قال الشيخ المحدث أحمد شاكر –رحمه اللّه-:

فإنى لا أظننى مغاليا إذا قلت إن هذا الكتاب من أجود كتب الأدب وأحسنها ، وسيرى قارئه أنه يتنقل فيه من روض إلى روض ، ويجتبى أزاهير الحكمة ،وروائع الأدب ، ويقتبس مكارم الأخلاق .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

أما بعد .

إن من ثمرات قراءة الكتب تقييد الفوائد ، حتى **قال الإمام النووي –رحمه الله** – وهو يرشد الطلاب إلى تعليق الفوائد : " ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت ، بل يبادر إلى كتابتها ،ثم يواظب على مطالعة ما كتبه"

وقال عبدالسلام هارون –رحمه الله – : فإن الحكيم العربي كان يقول وقوله حق : (العلم صيد والكتابة قيد وإذا ضاع القيد ذهب الصيد)

فهذه فوائد جمعتها لنفسي أثناء قراءتي لهذا الكتاب عام١٤٣٣هـ،وهى فى الأساس لا تغني عن الأصل ،فالأصل ملئ بالفوائد والدرر .

تنبيه:وهذه الفوائد لم يكن القصد عند كتابتها أن أنشرها ،ثم بدا لي أن أنشرها بعد سنوات من تقيدها لعل أحداً ينتفع بها ،وأسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يجزي مشايخنا عنا خير الجزاء

باب الوصايا

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: " من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن؛ ومن كتم سره كانت الخيرة بيده، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه، ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير مخرجاً؛ وعليك بإخوان الصدق فَكِسْ في اكتسابهم، فإنهم زينة في الرخاء، عدة في البلاء، ولا تهاون في الحلف بالله فيهينك، وعليك بالصدق ولو قتلك، ولا تعتز إلى من لا يغنيك؛ واعتزل عدوك؛ واحذر صديقك إلا الأمين، والأمين من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك فيفضحك، وتخشَّع عند القبور؛ وآخ الإخوان على قدر التقوى؛ ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك؛ وشاور في أمرك الذين يخافون الله عز وجل

قال عبد الله بن الحسن بن الحسين رضوان الله عليهم لابنه محمد رضي الله عنه: يا بني، احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان عدواً؛ فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته في بعض

اغتراره، فيسبق إليك مكروه فكر العاقل. وإياك ومعاداة الرجال، فإنها لن تعدِّيك مكرَ حليم أو مفاجأة جاهل .

قال زيد بن علي رضي الله عنهما لأصحابه ولا تستعينوا بنِعَم الله على معاصيه. وتفكروا وأبصروا: هل لكم قِبَلَ خالقكم من عمل صالح قدَّمتموه فشكره لكم ؟ فبذلك جعلكم الله تعالى أهل الكتاب والسنة، وفضلكم على أديان آبائكم، ألم يستخرجكم نُطفاً من أصلاب قوم كانوا كافرين، حتى بثكم في حجور أهل التوحيد، وبث من سواكم في حجور أهل الشرك ؟ فبأي سوابق أعمالكم طهَّركم ؟ إلا بمنّه وفضله الذي يؤتيه من يشاء، والله ذوالفضل العظيم.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته: إنه لا بد لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه، فإنه سيمر على نصيبك من الدنيا فينتظمه انتظاماً، ويزول معك حيث ما زلت .

عن الأحنف بن قيس رحمه الله قال، قال لي عمر رضوان الله عليه: يا أحنف، من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثُر كلامه كثُر سقطُه، ومن كثُر سقطُه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه

عن الشعبي قال: قلت لابن هبيرة: عليك بالتُؤَدة فإنك على رد ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلتَ .

كتب حكيم إلى حكيم: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنِم، ومن خاف رحِم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهِم، ومن فهم علِم .

قال الحسن بن سهل : من أحبَّ الازدياد من النعم فليشكر، ومن أحب المنزلة عند السلطان فليعظه، ومن أحب بقاء عزه فليتواضع، ومن أحب السلامة فليدم الحذر

قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بد أن يأتي قريبٌ ولكن الذي يمضي بعيدُ

قال المقنَّع الكندي :

أُبْلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءهم وتوسَّمَنَّ فَعَالهم وتفقَّدِ
فإذا ظفرتَ بذي الأمانة والتُّقى فَبِهِ اليَدَيْنِ قريرَ عَيْنٍ فاشْدُدِ

وإذا رأيتَ ولا محالةَ زلَّةً فعلى أخيك بفضلِ حِلْمِكَ فارْدُدِ

✍**قال أمير المؤمنين رضوان الله عليه :** " أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما "

✍ وكن كما قال الشاعر هدبة بن الخشرم العذري :

وكنْ معقِلاً للخير، واصفحْ عن الخنى فإنك راءٍ ما حييتَ وسامعُ
وأحبِبْ إذا أحببت حباً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنك لا تدري متى الود راجع

✍ قال النابغة :

إذا المرء لم يطلُب معاشاً لنفسِه شكا الفقرَ، أولامَ الصديق فأكثرا
وصارَ على الأدنينَ كلاًّ، وأوشكتْ صلاتُ ذوي القربى له أن تنكَّرا
فسرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى تعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعذرَا
وما طالبُ الحاجاتِ في كل وجهة من الناس، إلا من أجدَّ وشمَّرا
ولا ترْضَ من عيشٍ بدونٍ، ولا تنمْ وكيف ينامُ الليلَ من باتَ مُعْسِرا ؟

✍ واعلم أن من حاسب نفسه تورَّعْ، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، وفي التواني تكون

الهلكة، وفي التأني السلامة. وزارع البر يحصد السرور. والقليل مع القناعة في القصد، خير من الكثير مع السرف في المذلة. والتقوى نجاة، والطاعة ملك؛ وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول؛ وصديق الجاهل تعب، ونديم العاقل مغتبط. فإذا جهلت فسلْ، وإذا ندمت فأقلع، وإذا غضبت فأمسك. ومن لاقاك بالبشر فقد أدى إلى الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضِهِ الفضل .

وعليكم في الحرب بالأناة والتؤدة في اللقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم؛ وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة أنفع من الشجاعة والشدة .

قال الشاعر من وصية عبد الملك بن مروان لبنيه :

انفوا الضغائن والتخاذل عنكمُ عند البعيد، وفي الحضور الشُهَّدِ
بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مدَّ في عمري وإن لم يمددِ
فَلِمثل ريب الدهر ألفةُ بينكم بتواصلٍ وتراحمٍ وتوددِ
وانفوا الضغائن والتخاذل عنكم بتكرم وتوسع وتغمدِ
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسودٍ منكم وغير مسودِ
إن القداحَ إذا اجتمعنَ فرامَها بالكسْرِ ذو بطشٍ شديد أيِّدِ :
عزَّتْ فلم تُكْسر؛ وإن هي بدِّدَتْ فالوهنُ والتكسيرُ للمتبددِ

وقال آخر:

ولا تهدمنَّ بنيان من قد وجدتهُ بنى لك بنياناً، وكن أنت بانيا

باب السياسة

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: من أراد الله به خيراً جعل الله له وزير صدقٍ صالحاً؛ إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه.

وإياك وقول جرير:

وكنتَ إذا نزلتَ بدارِ قومٍ رَحَلتَ بخزيةٍ وتركتَ عاراً

قال بزرجمهر:عاملوا أحرار الناس بصفو المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وعاملوا السفلة بالمخافة صراحاً.

كتب بعض ملوك العجم إلى بعض حكمائهم: إن الحكماء قد أكثروا في وصف خلال أسباب الفتن، فاكتب إلي بما ينشئها ويميتها، فكتب إليه: تنشئها ضغائن، وتنتجها أثرة وأطماع لم يقمعها ذعرٌ وجرأة عامةٍ ولدها استخفافٌ بخاصةٍ، وأكدها انبساط الألسن بضمائر القلوب، وإشفاق موسرٍ، وأمل معسر، وغفلة متلذذٍ، ويقظة محرومٍ. ويميتها ذل مسلوبٍ وعز سالبٍ، ودرك بعيدٍ وموت أملٍ، وذهاب ذعرٍ وتمني رغبٍ.

فكتب إليه: الذي وصفت كما وصفت. فأي الامور أدفع لما ذكرت ؟

فكتب إليه: أخذ العدة لما تخاف حلوله، وإيثار الجد حتى تبيد الهزل، والعمل بالعدل في الغضب والرضا.

تُهدَى الأُمورُ بأهل الرأْي ماصَلَحتْ فإن تولتْ فبالأشرارِ تَنْقَادُ

لايَصْلُحُ القومُ فَوْضَى لاسَرَاةَ لَهُمْ ولاَ سَرَاةَ إذا جُهالُهم سَادُوا

وقالوا: ينبغي للملك أن يقل الإذن للعامة، لأنهم إذا لم يروه هابوه، وإذا رأوه كثيراً هان عليهم؛ كما أن الأسد يهابه كل من رآه، إلا الرعاة، فإنهم من كثرة مايرونه قد هان عليهم.

واعلم أن الذي يتعجب منه الناس: الجزالة وكبر الهمة؛ والذي يحبون عليه: التواضع ولين الجانب. فاجمع الأمرين، تستجمع محبة الناس لك، وتعجبهم منك. ولا تمتنع أن تتكلم بما يطيب قلوب العامة؛ فإن الناس ينقادون للكلام أكثر من انقيادهم بالبطش. ولا تحسب أن ذلك يضع من قدرك، بل يزيده نبلاً: أن تنطق بالخير إذ أنت على الشر قادر

روي أن بعض ملوك الفرس سأل حكيماً من حكمائهم: ما شيءٌ يعز به السلطان ؟ قال: الطاعة. قال: فما سبب الطاعة ؟ قال: التودد إلى الخاصة، والعدل على العامة. قال: فما صلاح الملك ؟ قال: الرفق بالرعية، وأخذ الحق منهم في غير مشقة، وأداؤه إليهم عند أوانه،

وسد الفروج، وأمن السبل، وإنصاف المظلوم من الظالم، وأن لايفرط القوي على الضعيف. قال: فما صلاح الملك ؟ قال: وزراؤه أصوله؛ فإن هم فسدوا فسد وإن صلحوا صلح. قال: فأية خصلةٍ تكون في الملك أنفع ؟ قال: صدق النية

وقال آخر: من تمام الكرم أن تذكر الخدمة لك، وتنسى النعمة منك؛ وتفطن للرغبة إليك وتتغابى عن الجناية عليك.

الخطأ مع العجلة، والصواب مع التؤدة، ففوَّض كل أمر إلى أهله، وائتد في عقده وحله، تأمن الزلل وتبلغ الأمل .

أربعة لا يزول معها ملك: حفظ الدين. واستكفاء الأمين. وتقديم الحزم. وإمضاء العزم .

وأربعة لا يثبت معها ملك: غش الوزير. وسوء التدبير. وخبث النية. وظلم الرعية

أربعة تولِّد المحبة: حسن البِشْرِ. وبَذْلُ البر. وقَصْد الوِفاق. وترك النفاق

أربعة من علامات الكرم: بذل الندى. وكف الأذى. وتعجيل المثوبة. وتأخير العقوبة.

أربعة تدل على صحة الرأي: طول الفكر. وحفظ السر. وفرط الاجتهاد. وترك الاستبداد .

أربعة توصل إلى أربعة: الصبر إلى المحبوب. والجد إلى المطلوب. والزهد إلى التُقى. والقناعة إلى الغنى

أربعة لا تستغني عن أربعة: الرعية عن السياسة. والجيش عن القادة. والرأي عن الاستشارة. والعزم عن الاستخارة .

ومن أمن المكائد، لقي الشدائد. ومن أمن المكر، لقي الشر.

لا تقطع قريباً وإن كفر، ولا تأمن عدواً وإن شكر .

ضعف النظر يورث العثار، وضعف الرأي يورث الدمار .

الرفق مفتاح الرزق. ومن نظر في العواقب، سلم من النوائب

من كتم سره، أحكم أمره. ومن كثر اعتباره، قلَّ عثاره، ومن عمل بالرأي اعتلى مناره. ومن أحكم التجارب، أحمد العواقب. ومن أمارات الجد حسن الجِدّ

وأي ملك ملكته حاشيته وأصحابه، اضطربت عليه أموره وأسبابه.

وأي ملك خفت وطأته على أهل الفساد، ثقلت عليه وطأة الأعداء والأضداد .

وقال الشاعر :

ركوبك الهول ما أيقنتَ فرصتهُ جهلٌ، ورأيكَ بالإقحامِ تغرير
فاعمل صواباً تجدْ بالحزمِ مأثرةً فلن يُذمَّ لأهلِ الحزمِ تدبيرُ
فإن ظفرتَ مصيباً أو هلكتَ بهِ فأنت عند ذوي الألباب معذور

وإن ظفرتَ على جهلٍ فعشتَ به قالوا: جهولٌ أعانتهُ المقاديرُ

الكرم

عن الأعمش عن خيثمة قال: كان عيسى ابن مريم ﷺ إذا دعا أصحابه قام عليهم، ثم قال: هكذا اصنعوا بالقِرى.

وروي: الخير أسرع إلى البيت الذي يُطعم في الطعام من السيل إلى مستقره

إذَا هَبتْ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبتِهَا الوَلِيدَا

طَوِيلَ البَاعِ أَبْيَضَ عَبْشَمِيًا أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدَا
بِأَمْثَالِ الهِضَابِ كَأَن رَكْباً عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُوداً
أَبَا وَهْبٍ جَزَاكَ اللهُ خَيْراً نَحَرْناهَا وأَطْعَمْنَا الثرِيدَا
فَعُدْ إن الكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنِي يَابْنَ أَرْوَى أَنْ تَعُودَا
أعطى ثم أعطى ثم عدنا فأعطى ثم عدت له فعادا
مِراراً ما أعود إليه إلا تبسَّم ضاحكاً وثنى الوسادا

مرض قيس بن سعد بن عبادة رحمه الله فاستبطأ إخوانه عن عيادته. فسأل عنهم ؟ فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر منادياً فنادى: من كان لقيسٍ عليه دينٌ فهو في حلٍ منه. فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده .

كأن فقيراً حين يغدو لحاجةٍ إلى كل من يلقى من الناس مذنب
يَا آمِنَ الأَقْدَارِ بادِرْ صَرْفَها وَاعْلَمْ بِأَنّ الطّالِبِينَ حِثَاثُ
خُذْ مِنْ تُرَاثِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فإنّما شُرَكاؤكَ الأيَّامُ وَالْوُرَّاثُ

أخذ هذا المعنى محمودٌ الوراق فقال:

تمَتَّعْ بمالِكَ قَبلَ الممَاتِ وإلاّ فَلاَ مالَ إنْ أَنتَ مُتّا
شقِيت بهِ ثمَّ خَلَّفْتَهُ لِغيْرِكَ، بُعْداً وَسُحْقاً ومَقْتاً

فَجَادُوا عَلَيْكَ بِزُورِ الْبُكا وَجُدْتَ علَيْهِمْ بما قَدْ جَمَعْتَا
وأَوْهَبْتَهُمْ كلَّ مَا في يَدَيْكَ وَخَلَّوْكَ رَهْناً بماَ قَدْ كَسَبتَا

يقال: مال الميت يعزي ورثته عنه.

يا قَلْبُ إِنَّكَ في أَسْمَاءَ مَغْرُورُ فاذْكُرْ، وهَلْ يَنْفَعَنْكَ اليَوْمَ تَذْكِيرُ ؟
فاسْتَقْدِرِ اللهَ خَيْراً وَارْضَيَنَّ بِهِ فَبَيْنَمَا العُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسيرُ
وَبَيْنَمَا المَرْءُ فِي الأَحْيَاءِ مُغْتَبِطاً إذ صارَ في القَبْرِ تعْفُوهُ الأعاصِيرُ
حتَّى كأنْ لم يَكُنْ إلاّ تَذَكُّرُهُ وَالدَّهْرُ أَيَّتَما حالٍ دَهَارِيرُ
يَبْكي الغريبُ عليْهِ ليْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ في الحَيِّ مَسْرُورُ

عن محمد بن المنكدر عن أم ذرة – وكانت تخدم عائشة رضوان الله عليها – قالت: بعث ابن الزبير رحمه الله إلى خالته أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها – : في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهمٍ، فدعت بطبقٍ فجعلت تقسمه بين الناس، حتى فرغ، فلما أمست قالت: يا جارية، هاتي فطوري، فجاءت بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرَّة: ما استطعت – فيما قسمت اليوم – أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟ ! فقالت: لو كنت ذكرتيني لفعلت !

باب الشجاعة

النظر النافذ عند مجيء الشبهات، والعقل الكامل عند نزول الشهوات

روى المدائني عن مُصعب بن عبد الله الزبيري قال: أجمع أهل الإسلام أنه لم يكن في الناس راجلٌ أشجع من علي بن أبي طالب، ولا فارس أشجع من الزبير بن العوام رضي الله عنهما .

قال عنترة بن شداد :

وَسَلي لِكَيما تخبري بفعالنا عند الوغى ومواقفِ الأبطالِ
والخيلُ تعثرُ بالقنا في جاحمٍ تهفو به ويجلن كلَّ مجالِ
وأنا المجرَّبُ في المواطنِ كلها من آلِ عبسٍ منصبي وفعالي
منهم أبي حقاً فهم لي والدٌ والأم من حامٍ فهم أخوالي
وأنا المنية حين تشتجرُ القنا والطعنُ مني سابق الآجالِ
ولربَّ قرنٍ قد تركتُ مجدَّلاً بلبانهِ كنواضحِ الجريالِ
تنتابُهُ طُلْسُ الذئابِ مغادراً في قفْرةٍ متمزق السربالِ
أَوْجرتهُ لَدْنَ المهزَّةِ ذابلاً مرنتْ عليهِ أشاجِعِي وخِصالي

قول عنترة: " مرنت عليه أشاجعي وخصالي " مثل قول قيس بن الخطيم :

ملكتُ بها كفي فأنهرتُ فتْقها ترى قائماً من دونها ما وراءها

وتحت هذا القول معنىً لا يعرف حقيقته إلا من باشر الحرب، ولم يزل فيها طاعناً ومطعوناً، وقد يتهجم الإنسان على السرية والموكب فيطعن فيه مخاطراً بنفسه، خائفاً من الموت، فتسترخي يده على الرمح حتى يسبح الرمح في كفه ،فلا يكون للطعنة كبير تأثير. فعنترة وقيسٌ يشيران إلى أنهما ما أصابهما ذلك، ولا استرخت يدهما من الروع .

وقال خالد بن الوليد رحمه الله: ما ليلةٌ أقرَّ لعيني من ليلةٍ يُهدى إليَّ فيها عروسٌ، اللهم إلا ليلةً أغدو فيها لقتال العدو .

قال الكنانيّ:

شُجَاعاً إِذَا مَا أَمْكَنَتْنِيَ فُرْصَةٌ فإِنْ لَمْ تَكنّ لِي فُرْصَةٌ فَجَبَانُ

والشيء يذكر بالشيء: كان عندنا بشيزر مخنث يحضر الأعراس والجنائز، اسمه " سبيكة " إذا وقع القتال لبس درعاً وأخذ سيفه وترسه، وقال: بطل التخنيث ! وخرج يضرب بالسيف .

ومن العار على السيوف أن يحملها ويضرب بها المخانيث .

حكاية

وشاهدت رجلاً من أجنادنا من الأكراد ينعت بزهر الدولة بختيار " القبر صي " ، سمي بذلك لصغر خلقته، وكان رحمه الله من خيار المسلمين في الشجاعة والدين، وقد ظهر عندنا أسد، فحمل عليه، فاستقبله الأسد فحاص به الحصان فرماه، فجاءه الأسد، فرفع رجله لقمها الأسد، وبادرناه فقتلنا الأسد، فقال له: يا زهر الدولة، ما معنى رفع رجلك إلى الأسد ؟ قال رأيتها أكسى ما فيَّ، في الران والساق موزا والخف، فقلت إن أمسك أضلاعي كسرها، وإن مسك رأسي فجشه، يشتغل برجلي إلى أن يفرج الله ! فعجبنا من حضور فكره في ذلك الوقت

قال عامر بن الطفيل :

سلِ الخيل عني هل علاها إذا عدَتْ إلى الروع بالأبطال من فارسٍ مثلي ؟
وهل كرَّها كرِّي إذا هي أقبلتْ تواخطُ بالأبطال في الحَلَقِ الجدْلِ ؟
إذحالَ منها عارضٌ دون عارضٍ كثيفٍ وأبدتْ حدَّ أنيابها العُصْلِ
كشفتُ قناع الموت بيني وبينها وأشليتها حتى تقوم على رجلِ
وأبست إبساساً بها وامتريتها فدرَّت غزاراً بالتليل وبالنبل
وكان الذي يلقى الرَّدى من لقيته وما أشبه الآجال من فارسٍ قبلي

ألستُ بفيفِ الريح أول مقدمٍ على رحيي موتٍ مراجلها تغلي ؟!
هتكت بنصل السيف أقراب مسهرٍ ولا شيء أسنى بالكرام من القتلِ

قال مؤلف الكتاب :

سأنفقُ مالي في اكتساب مكارمٍ أعيش بها بعد الممات مخلَّدا
وأسعى إلى الهيجاء لا أرهب الرَّدى ولا أتخشَّى عاملاً ومهندا
بكل فتىً يلقى المنية باسماً كان له في الموت عيشاً مجددا
فإن نلتُ ما أرجو فللمجد ثم لي وإن متُّ خلَّفتُ الثناء المؤبدا

قال زيدٌ:

أَقُولُ لِعَبْدِي جَرْوَلٍ إِذا أَسَرْتُهُ أَثْبِني وَلاَ يَغْرُرْكَ أَنَّكَ شَاعِرُ
أَنا الفَارِسُ الحَامِي الحَقِيقَةِ وَالذِي لَهُ المَكْرُمَاتُ وَاللُّهَا وَالمَآثِرُ
وَقَوْمِي رُؤُوسُ النّاسِ وَالرَّأْسُ قَائِدٌ إِذَا الحَرْبُ شَنَّتْها الأُكُفُّ المَسَاعِرُ
وَلَسْتُ إِذَا مَا المَوْتُ حُوذِرَ وِرْدُهُ وَأُتْرِعَ حَوْضَاهُ وَحَمَّجَ نَاظِرُ
بِوَقَّافَةٍ يَخْشَى الحُتُوفَ تَهَيُّباً يُبَاعِدُنِي عَنْها مِنْ القُبِّ ضَامِر
وَلكِنّني أَغْشَى الحُتُوفَ بِصَعْدَتِي مُجَاهَرَةً، إنّ الكَرِيمَ مُجَاهِرُ
وَأَرْوِي سِنانِي مِن دِمَاءٍ عَزِيْزَةٍ عَلَى أَهْلِها إذْ لاَ يُرْجَّى الأَنَاصِرُ

وقال علي لأبنه الحسن عليهما السلام: لاتدعونَّ أحداً الى المبارزة، فان دعيت اليها فأجب، فان الداعي اليها باغ، والباغي مصروع.

وَسَائِلَةٍ بِالغَيْبِ عَنِّي وَلَو رأَتْ مُقَارَعَتي الأَبْطَالَ طالَ نَحِيبُها
إِذا مَا التَقَيْنَا كُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ يَجُودُ بِنَفْسٍ أَثْقَلَتْهَا ذُنُوبُهَا

✍**عن أبي حاتم الرازي قال:** سمعت عبدة بن سليمان المروزيَّ يقول: كنا في سريةٍ مع عبد الله بن المبارك رضي الله عنه في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفَّان خرج رجلٌ من العدو فدعا إلى البراز فخرج اليه رجلٌ فقتله، ثم خرج آخر منهم فقتله، ثم آخر فقتله، ثم خرج اليه فطارده فعطنه فقتله، فازدحم اليه الناس، فاذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبد الله بن المبارك. فقال: وأنت يا أبا عمرٍ وممن يشع عليها

✍**وقال قطريّ بن الفجاءة:**

أَقُولُ لَها وقَد طَارَتْ شَعَاعاً مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ سِوَى الأَجَلِ الذِي لَكِ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبْراً في مَجَالِ المَوْتِ صَبْراً فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَمَا ثَوْبُ البَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الخَنَعِ اليَرَاعِ
سَبِيلُ المَوتِ مَنْهَجُ كُلُّ حَيٍّ وذَاعِيه لِأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي
ومَنْ لاَ يَعْتَبِطْ يَسْأَمْ ويَهْرَمْ وَيُفْضِ بِهِ الزَّمَانُ إِلى انقِطَاعِ

باب الآداب

وقال ابن عطاءٍ رحمه الله: الأدب الوقوف مع المستحسنات. فقيل: وما معناه ؟ قال: أن تعامل الله تعالى بالأدب سرّاً وإعلاناً، فاذا كنتَ كذلك كنت أديباً وإن كنت أعجميّاً.

وعن الجريري رحمه الله قال: منذ عشرين سنةً ما مددت رجلي وقت جلوسي للخلوة، فإنَّ حسن الأب مع الله تعالى أولى.

تَعَلَّمْ فَليسَ المَرْءُ يُخْلَقُ عَالِماً وَليسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
فَإِنَّ كَبيرَ القَومِ لاَ عِلمَ عِندَهُ صَغيرٌ إِذَا صُمَّتْ عَلَيْهِ المَحَافِلُ
وَلاَ تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بدُونٍ وَلاَ يَكُنْ نَصِيبُكَ إِرْثٌ قَدَّمَتْهُ الأَوَائِلُ

وكان يقال: من حسن الأدب أن لا تنازع من فوقك، ولا تقولَ مالا تعلم، ولا تتعاطى مالا تنال، ولا يخالف لسانك ما في قلبك، ولا قولك فعلك، ولا تدع الأمر إذا أقبل وتطلبه إذا أدبر.

ويقال: من أدَّب صغيراً قرَّت عينه كبيراً، ومن أدَّب ابنه أرغم أنف عدوِّه.

وكان يقال: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

وكان يقال: أربعةٌ يسود بها العبد: العلم والأدب والفقه والأمانة.

وعزّ المؤمن استغناؤه عن الناس.

قيل للحسن البصري رحمه الله: قد أكثر الناس في علم الآداب، فما أنفعها عاجلاً وأفضلها آجلا ؟ فقال: التفقه في الدين، فانه يصرف اليه قلوب المتعلمين، والزهد في الدنيا، فإنه يقربك من رب العالمين، والمعرفة بما لله تعالى عليك يحويها كمال الإيمان.

روي عن ابن المبارك رحمه الله أنه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منّا إلى الكثير من العلم.

قال الثوري رحمه الله: من لم يتأدّب للوقت، فوقته مقتٌ.

قال الله سبحانه وتعالى: " وأيوب إذ نادى ربه: أني مسَّني الضُرُّ وأنت أرحم الراحمين " لم يقل ارحمني لأنه حفظ أدب الخطاب.

وقال: العالم يعرف الجاهل، لأنه قد كان جاهلاً. والجاهل لا يعرف العالم، لأنه لم يكن عالماً .

قال: من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً .

فقيل له: وما البلاغة ؟ فقال: إقلالٌ في إنجاز، وصواب مع سرعة جواب .

قال: متواضع العلماء أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً .

قال: من لم يتعظ بالناس وعظ الله عز وجل به الناس .

قيل لعديّ بن حاتم رحمه الله: أيّ شيء أوضع للرجال ؟ قال: كثرة الكلام، وإضاعة السرّ، والثقة بكل أحدٍ.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: القلوب أوعية السرائر، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امريءٍ مفتاح سرّه.

وقال الآخر:

إِذَا المَرْءُ أفشَى سِرَّهُ بِلسانِهِ وَلاَمَ عَليهِ غَيرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْر المَرْءِ عَنْ سرِّ نَفْسِهِ فَصدرُ الذِي يُستَودعُ السِّرَّ أضْيَقُ

قالت الحكماء: كتمان السرّ كرمٌ في النفس، وسموٌّ في الهمة، ودليلٌ على المروءة، وسببٌ للمحبة، ومبلغٌ إلى جليل الرتبة.

قالوا: صدرك أوسع لسرك.

كُنْ مِنْ صَدِيقِكَ حَاذِراً فَلَرُبَّمَا خَانَ الصَّدِيقُ فَصَارَ غَيرَ صَدِيقِ
وَاحذَرْ صَدِيقَكَ لاَ عَدُوَّكَ إِنَّمَا حَرَكَاتُ سِرِّكَ عِنْدَ كُلِّ صَدِيقِ

فصل في أداء الأمانة

عن ميمون بن مهران قال: ثلاثةٌ تؤدى إلى البَّر والفاجر: الرَّحم، توصل، برَّة كانت أو فاجرة، والأمانة، تؤدى إلى البَّر والفاجر، والعهد، يوفى به للبَّر والفاجر

وقال السريُّ بن المغلس رحمه الله: أربعٌ من أُعطيهنَّ فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخليقة

قال الحكيم: أربعٌ يسوِّدن العبد: الأدب، والصدق، وأداء الأمانة، والمروءة .

فصل في فضل التواضع

قال الشاعر :

ولا تمشِ فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قومٌ هم منك أرفعُ
فإن كنت في عزٍ وحرزٍ ومنعةٍ فكم طاح من قومٍ هم منك أمنعُ

وكتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر: إن الذي يتعجب منه الناس فيك الجزالة وكبر الهمة، والذي يحبونك عليه: التواضع ولين الجانب. فاجمع الأمرين يجتمع لك محبة الناس لك وتعجبهم منك .

قال العربي :

قومٌ إذا نزل الغريب بأرضهم تركوه ربَّ صواهلٍ وقيانِ
وإذا دعوتهم ليوم كريهةٍ سدوا شعاع الشمس بالخرصانِ
متصعلكين على كثافة ملكهم متواضعين على عظيم الشانِ
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدانِ
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان

فصل في حسن الجوار

وعن الحسن البصري رضي الله عنه: ليس حُسن الجوار كفَّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار .

قال الشاعر :

ونكرم جارنا حتى ترانا كأن لجارنا فضلاً علينا

فصل في الصمت وحفظ اللسان

روي عن سيدنا عيسى المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال: كل كلام ليس بذكر الله تعالى فهو لغو، وكل سكوت ليس بتفكر فهو غفلة، وكل نظرة ليست بعبرة فهي لهو. فطوبى لمن كان تكلمه ذكراً، وسكوته افتكاراً، ونظره اعتباراً

عن لقمان أنه قال لابنه: يا بني، من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يُتَّهم، ومن لا يملك لسانه يندم .

قال أبو حاتم رحمه الله: طلب رجلان العلم، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر، فكتب المتكلم إلى الصامت :

وما شيءٌ أردتُ به اكتساباً بأجمع في المعيشة من لسانِ

فكتب إليه الصامت :

وما شيء أردت به كمالاً أحقٌ بطول سجنٍ من لسانِ

وقال سفيان بن عُيينة رحمه الله:

خلِّ جنبيك لرامٍ وامضُ عنه بسلامِ
مت بداء الصمت خيرٌ لك من داء الكلامِ
إنما السالم من ألجمَ فاهُ بلجامِ

قالوا: ربَّ كلمةٍ تقول: دعني، ورب كلمة سلبت نعمةً

وقال الشاعر :

واحذر لسانك لا تقول فتُبتلى إن البلاء موكلٌ بالمنطقِ
إن السكوت سلامةٌ ولربما زرع الكلام عداوةً وضِرارا
فإن ندمتَ على سكوتكَ مرةً فلتندمنَّ على الكلام مِرارا

فصل في القناعة

قال الله عز وجل: " من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياةً طيبةً" ،قال كثير من أهل التفسير: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة .

وقال الشاعر :

فعِشْ بالقوتِ يوماً بعد يومٍ كمصِّ الطفل فيقات الصروعِ
ولا ترغبْ إلى أحدٍ بحرصٍ رفيعٍ في الأمورِ ولا وضيعِ
فإن الحرصَ في الرغباتِ داءٌ يُحلِّئُ مقلتيكَ عن الهُجُوعِ

فصل في الحياء

وأورد الإمام عبد الكريم بن هوزان رضي الله عنه في رسالته

قال: في بعض الكتب: يقول الله تعالى: " ما أنصفني عبدي، يدعوني فأستحيي أن أرده، ويعصيني ولا يستحيي مني " .

عن محمد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصري رحمه الله يقول: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك .

قيل: الحياء على وجوه: حياء الخيانة، كآدم عليه السلام[1]، قيل له: أفراراً منا ؟ قال: لا، بل حياء منك. وحياء التقصير، كالملائكة، يقولون: ما عبدناك حق عبادتك. وحياء الإجلال، كإسرافيل عليه السلام، تسربل بجناحه حياءً من الله تعالى. وحياء الكرم، كالنبي صلى الله عليه وسلم، استحيا من أمته أن يقول: اخرجوا، فقال الله سبحانه: " ولا مستأنسين لحديث " . وحياء خشية، كعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه حين سأل المقداد حتى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذْي، لمكان فاطمة رضي الله عنها منه. وحياء الاستحقار، كموسى عليه السلام، إذ قال: إنه لتعرض على قلبي الحاجة فاستحيي أن أسألكها يا رب، فقال الله عز وجل: سلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك.

[1] قلت ولا يجوز التعبير بهذا اللفظ فى حق نبى الله ادم عليه السلام

وحياء الإنعام، وهو حياء الرب تبارك وتعالى، يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما عبر على الصراط، فإذا فيه: " فعلت ما فعلت، وقد استحييت أن أُظهر عليك، فاذهب فأني قد غفرت لك

قال الشاعر :

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاءُ
يعيش المرء ما استحيا بخيرٍ ويبقى العود ما بقي اللحاءُ
وما في أن يعيش المرء خيرٌ إذا ما الوجه فارقه الحياءُ

قال أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان بالحياء :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيمتك الحياءُ
وعلمك بالأمور وأنت قِرْمٌ لك الحسب المؤثَّلُ والثناءُ

وقال محمد بن حازم :

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وشتم ذوي القُربى خلائقُ أربعُ :
حياءٌ وإسلامٌ وتقوى وأنني كريمٌ، ومثلي قد يضرُّ وينفعُ

فصل في النهي عن الرياء

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذمّ.

فصل في التعفّف

قال الشاعر:

لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البِلى وإنّمَا الموتُ سُؤالُ الرِّجالْ
كِلاهمَا مَوتٌ، ولكنَّ ذَا أشدُّ مِنْ ذاكَ لِذُلِّ السُّؤالْ

فصل في التحذير من الظلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعوتان ليس بينهما وبين الله حجابٌ: دعوة المظلوم، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب

الإحسان وفعل الخير

قال حكيم بن حزام رحمه الله: ما أصبحت يوماً وببابي طالب حاجةٍ إلاّ علمت أنها من منن الله عزّ وجل عليّ. ولا أصبحت وليس

ببابي طالب حاجة إلاّ علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها.

الصبر على الأذى ومداراة الناس

عن النزال بن سبرة يرفعه قال: " ثلاث من كنّ فيه كان بدنه في راحة: علم يرد به جهل الجاهل، وعقل يداري به الناس، وورع يحجزه عن معاصي الله عزّ وجل

سَأَتْرُكُ مَا بَيني وبَينَكَ وَاقِفاً عَلى حَالِهِ بَينَ المَودَّةِ والهَجْرِ
وأَنْتَحِلُ الصَّبْرَ الجَميلَ تَجَلّداً وَإنْ كُنتُ مَحْروماً نَصِيبِي مِنَ الأجْرِ

وقال آخر:

إذا مَا أَخِي يَوماً تَوَلَّى بِوُدِّهِ وَأَنْكَرْتُ مِنهُ بَعضَ مَا كُنتُ أَعرفُ
عَطفْتُ عَلَيهِ. بِالمودَّةِ إنّني عَلى مُدْبِرِ الإخوَانِ بِالوُدّ أعطِفُ
وَإغضاؤُكَ العَينَينِ عَنْ عَيبِ صَاحِبٍ لَعمْرُكَ أَبقَى لِلودادِ وأشرَفُ

وقال آخر:

وعَوراءَ جاءَتْ مِنْ أَخٍ فرَدَدْتُهَا مُسالِمةً للمرْءِ طالِبةً عُذرَا
ولَو أنَّهُ إذْ قالَ قلتُ بمِثْلِها ولَم أعْفُ عنْهَا أَورَثَتْ بيْنَنا غِمرَا

قال آخر:

وعَورَاءَ جَاءَتْ مِن أخٍ فنبَذْتُهَا ورائِي وعنْدِيْ لَوْ أَشَاءُ نَكِيرُ

صبرْتُ لهَا والصَّبرُ مِنّي سَجِيَّةٌ ... وإنّي عَلى مَا نَابنِي لصَبُورُ
ومَا أنَا ممَّنْ يقْسِمُ الهَمُّ أمْرَهُ ... ويسأَلُ مَنْ يلقَاهُ كيفَ يسِيرُ
ولكِنّني كالدّهْرِ أُشفِي وأَشْتَفِي ... وَأُقْضِي وَلاَ يَقضِي عليَّ أميرُ

وقال حاتم الطائي:

ومَا مِن شِيمَتِي شَتمُ ابنِ عمِّي ... ومَا أنَا مخلِفٌ مَنْ يرْتَجِينِي
وكلِمةُ حاسِدٍ مِنْ غيرِ جُرمٍ ... سَمعْتُ فقُلتُ: مُرّي فانفُذِينِي
غَبِيتُ بهَا كأَنْ قِيلَتْ لِغيرِي ... ولَمْ يعْرَقْ مخَافَتَها جَبِينِي

وقال آخر:

لَنْ يُدرِكَ المَجدَ أقوامٌ وَإنْ كَرُمُوا ... حتّى يَذِلُّوا وإنْ عزُّوا لأَقْوامِ
ويُشْتَمُوا فتَرَى الألوَانَ مُسفِرةً ... لاَ صفحَ ذُلٍّ ولكنْ صَفحُ أَحلاَمِ

قال عبيد بن غاضرة العنبري

إنَا وَإنْ كُنّا أَسِنَّةَ قَومِنَا ... وَكَانَ لنَا فيهِمْ مقَامٌ مُقّدَّمُ
لنَصْفَحُ عَنْ أشيَاءَ مِنهُم تَرِيبُنَا ... ونَصْدِفُ عَن ذِي الجهْلِ منهُمْ ونحْلُمُ
ونمْنَحُ منهُمْ معشَراً يحسُدونَنا ... هنِّي عطاءِ ليسَ فِيهِ تنَدُّمُ
ونكلَؤُهَمْ بِالغَيبِ مِنَّا حفِيظَةً ... وأَكْبَادُنَا وجْداً علَيهِمْ تضَرَّمُ
فَلَيسَ بِمَحمُودٍ لَدَى النَّاسِ مَنْ جَزَى ... بِسيّءٍ ما يأْتِيْ المُسِيءُ المُلَوَّمُ
سأَحمِلُ عَنْ قوْمِي جمِيعِ كُلُومِهِمْ ... وأَدْفَعُ عنْهُمْ كُلَّ غُرْمٍ وأَغْرَمُ

حفظ التجارب وغلبة العادة

قالت الحكماء: التجارب عقل ثانٍ، ودليلٌ هادٍ، وأدبٌ للدهر. فافهم عن الأيام أخبارها، فقد أوضحت لك آثارها، واتعظ بما وعظك منها، وتأمّل ما ورد عليك من أحوالها تأمل ذي فكرة منها؛ فإن الفكرة تدرأ عنك عمى الغفلة، وتكشف لك عن مستخفيات الأمور.

أنشد:

عوِّدْ لسَانَكَ قَولَ الخيرِ تَحظَ بِهِ إنْ اللِسَانَ لِمَا عوَّدْتَ مُعْتَادُ

باب البلاغة

"أم يقولون: افتراه؛ قل: فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين " .

أم يقولون: افتراه، قل: فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين"

وقال عز وجل في سورة الطور: " أم يقولون: تقوّله ؟ بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين" .

ألفاظ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم[٢]

- فمن ذلك قوله ﷺ: " المرء مخبوء تحت لسانه " .
- وقوله ﷺ: " لا يلسع المؤمن من حجرٍ مرتين " .
- وقوله ﷺ: " الشديد من غلب نفسه " .
- وقوله ﷺ: " ليس الخبر كالمعاينة " .
- وقوله ﷺ: " المجالس بالأمانة " .
- وقوله ﷺ: " الغنى غنى النفس " .
- وقوله ﷺ: " الأعمال بالنيّات " .
- وقوله ﷺ: " سيد القوم خادمهم " .
- وقوله ﷺ: " حبك الشيء يعمي ويصم " .
- وقوله ﷺ: " المرء كثير بأخيه " .

[٢] (قلت) : وبعضها لا يصح مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم .انظر مقدمة الشيخ احمد شاكر

وقوله ﷺ: " هل يتوقع أحدكم إلا غنًى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو الدجّال، فهو شرّ غائبٍ ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمرّ " .

وقوله ﷺ: " رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى مداراة الناس " .

وقوله ﷺ: " الحرب خدعة " .

وقوله ﷺ: " إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلمّ " .

وقوله ﷺ: " لا تجني على المرء إلا يده " .

وقوله ﷺ: " البلاء موكّل بالمنطق " .

وقوله ﷺ: " الناس كأسنان المشط " .

وقوله ﷺ:: " أي داء أدوى من البخل " .

وقوله ﷺ: " ترك الشرّ صدقة " .

وقوله ﷺ: " الحياء خيرٌ كلّه " .

وقوله ﷺ: " أعجل الأشياء عقوبةً البغي " .

وقوله ﷺ: " إن من الشعر لحكماً، وإن من البيان لسحراً "

وقوله ﷺ: " استعينوا على الحاجات بالكتمان " .

وقوله ﷺ: " الندم توبةٌ " .

وقوله ﷺ: " المستشار مؤتمنٌ " .

وقوله ﷺ: " الولد مبخلةٌ مجبنةٌ " .

وقوله ﷺ: " لن يهلك امرؤٌ بعد مشورةٍ " .

وقوله ﷺ: " مالَكَ من مالِكَ إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت " .

وقوله ﷺ: " الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم "

قيل: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: طلب الخير شديدٌ، وترك الشر أشد منه: لأن ليس كل الخير يلزمك عمله، والشر كله يلزمك تركه .

من دعاء الفضيل بن عياض رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الغنى في الدنيا، وأعوذ بك من الرغبة فيها، وأسألك الزهد في الدنيا، وأعوذ بك من الفقر فيها .

وقالت الحكماء:

- خير الكلام ما أغنى قليله عن كثيره
- وقالوا: خير الكلام ما لم تحتج بعده إلى كلام .
- وقالوا: أبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه .
- وقالوا: البلاغة ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة .
- وقيل لبعض الحكماء: ما أحسن الكلام ؟ قال: ما استحسنه سامعه. قيل: ثم ماذا ؟ قال: ثم ما حصلت منافعه. قيل: ثم ماذا ؟ قال: ما لم تذمَّ عواقبه. قيل: ثم ماذا ؟ قال: ثم لا ثم .
- قيل لبعضهم: من البليغ ؟ قال: من أخذ معاني كثيرة فأداها بألفاظ قليلة، أو أخذ معاني قليلة فولد منها ألفاظاً كثيرة .
- وقال بعض الأدباء: إن أمكنك أن تبلغ من بيان وصفك، وبلاغة منطقك، واقتدارك على فصاحتك – أن تُفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ المبسوطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجل عن الأكفاء – : فأنت البليغ الكامل .

وسئل أرسطاطاليس عن البلاغة ؟ فقال: إقلال في إنجاز، وصواب مع سرعة جواب. وسئل عن العي ؟ فقال: كثرة القول المقصر عن بلوغ المعنى .

فصل في الأدب

قال سويد بن أبي كاهل :

إني إذا ما الأمر بين شكهُ ... وبدت بصائره لمن يتأملُ
أدع التي هي أرفق الحالات بي ... عند الحفيظة للتي هي أجملُ

وقال أحيحة بن الجلاح :

استغن عن كل ذي قربى وذي رحمٍ ... إن الغني من استغنى عن الناسِ
والبَس عدوك في رفقٍ وفي دعةٍ ... لباس ذي إربةٍ للناس لبَّاسِ

وقال خفاف بن مالك بن عبد يغوث المازني :

نريح فضول الحلم وسط بيوتنا ... إذا الحلماء عنهم الحلم أغربوا
ونرأب ما شئنا، وليس لما وهت ... جرائر أيدينا من الناس مرْأبُ
ونعفو، ولو شئنا أخذنا، ونكتفي ... بأدنى بُغانا حين نبغي ونطلبُ
وندفع عنا الشر ما كان دفعه ... سناءً، ونصلي ناره حين تُلهبُ
ونركبُ ظهر الموتِ والموت يُتقى ... إذا لم يكن إلا على الموت مركبُ
وإني على ريب الزمان وصرفه ... لتغزر كفي بالندى حين تُحلبُ

وأكفي ابن عمي غيبه بشهادتي ... ويطعن دون الجار نصري ويضربُ
ولا ألطم ابن العم إن كان إخوتي ... شهوداً وإخوان ابن عمي غُيَّبُ

قال آخر :

إني لأعرض عن أشياء أسمعها ... حتى يظن أناسٌ أن بي حمقا
أخشى مقال سفيهٍ لا حياء له ... وأن يظن أناسٌ أنه صدقا

وقال النابغة الذبياني، واسمه زياد :

لا خير في عزمٍ بغير رويةٍ ... والشك وهنٌ إن أردت سراحا
فاستبق ودَّك للصديق ولا تكن ... قتباً يعض بغاربٍ ملحاحا
صفناً يدخِّل تحته أحلاسه ... شد البطان فما يريد براحا
والرفق يمنٌ والأناة سعادةٌ ... فاستأنِ في رفقٍ تلاقِ نجاحا
واليأس مما فات يعقب راحةً ... ولرب مطعمة تكون ذباحا

قال آخر :

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر السائلِ
ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطلِ
فلا تهج إن كنت ذا إربةٍ ... حرب أخي التجربة العاقلِ
إن أخا العقل إذا هجته ... هجت به ذا خبل خابلِ
تبصر في عاجل شداته ... عليك غب الضرر الآجلِ

أنشد أبو حاتم

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق بما به الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في مكامنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمن به القريب المستجيبُ
وكل الحادثات وإن تناهت فمقرونٌ بها فرجٌ قريبُ

قال المؤلف قرأت على حائط مسجد بديار بكرٍ سنة خمس وستين وخمس مائة :

صُن النفس وابذل كل شيءٍ ملكته فإن ابتذال المال للعرضِ أصونُ
ولا تطلقن منك اللسان بسوءةٍ ففي الناس سوءات وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك معايباً لقومٍ فقل: يا عين للناس أعينُ
ونفسك إن هانت عليك فإنها على كل من تلقى أذل وأهونُ

وقال زهير بن أبي سلمى :

أبي لابن سلمى خلَّتان اصطفاهما قتالٌ إذا يلقى العدو ونائلُ
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلُ

قال آخر:

نجوم سماءٍ كلما غاب كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبهْ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبهْ

بليغ العتاب

قول المقنع الكندي :

يعاتبني في الدين قومي، وإنما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
أسد بها ما قد أخلوا وضيعوا ... ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس يسود القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنىً ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا
وإني لعبد الضيف مادام ثاوياً ... وما شيمةٌ لي غيرها تشبه العبدا

وقال الأسيدي :

إني ليمنعني من ظلم ذي رحمٍ ... لب أصيل وحلم غير ذي وصمِ
إن لان لنت وإن دبت عقاربه ... ملأت كفيه من صفحٍ ومن كرمٍ
وأعرضُ عنْ أشياءَ لوْ شئتُ قلتهَا ... ولوْ قلتهَا لمْ أبقِ للصلحِ موضعَا

بليغ العتاب في الشعر

وقال معن بن أوس :

وذِي رحمٍ قلّمتُ أظفارَ ضغنهِ ... بحلميَ عنهُ وهوَ ليسَ لهُ حلمُ
يحاولُ رغمِي لاَ يحاولُ غيرهُ ... وكالموتِ عندِي أنْ يحلَّ بهِ الرغمُ

إذَا سمتهُ وصلَ القرابةَ سامنِي قطيعتهَا، تلكَ السفاهةُ والإثمُ
ويسعَى إذَا أبنِي ليهدمَ صالحِي وليسَ الذِي يبنِي كمنْ شأنهُ الهدمُ
فإنْ أعفُ عنهُ أغضِ عيناً علَى القذَى وليسَ لهُ بالصّفحِ عنْ ذنبهِ علمُ
وإنْ أستقدْ منهُ أكنْ مثلَ رائشٍ سهامَ عدوٍّ يستهاضُ بهَا العظمُ
فدارأتهُ بالحلمِ، والمرءُ قادرٌ علَى سهمهِ مَا دامَ فِي كمِّهِ السّهمُ
فمَا زلتُ فِي رفقٍ بهِ وتعطّفٍ عليهِ كمَا تحنُو علَى الولدِ الأمُّ

وخفضٍ لهُ منّي الجناحَ تألّفاً لتدنيهُ منّي القرابةُ والرّحمُ
وقولِي إذَا أخشَى عليهِ ملمّةً ألاَ اسلمْ فداكَ الخالُ ذُو العقدِ والعمُّ
وصبرِي علَى أشياءَ منهُ تريبُنِي وكظمِي علَى غيظِي، وقدْ ينفعُ الكظمُ
ودارأتهُ حتَّى ارفأنَّ نفارهُ فعدنَا كأنَّا لمْ يكنْ بيننَا صرمْ
وأطفأتُ نارَ الحربِ بينِي وبينهُ فأصبحَ بعدَ الحربِ وهوَ لنَا سلمُ

بليغ مليح الغزل

وقال مضرس بن قرط بن حارثٍ المزني :

تكذبني بالودِّ سُعدى فليتها تحمل مني مثله فتذوقُ
ولو تعلمين العلم أيقنت أنني لكم والهدايا المشعرات صديقُ
أذود سواد العين عنك وماله إلى أحدٍ إلا إليك طريقُ

أهم بصرم الحبل ثم يردني إليك من النفس الشعاع فريقُ
وكادت بلاد الله يا أم مالكٍ بما رحبت يوماً علي تضيقُ
تتوق إليك النفس ثم أردها حياءً، ومثلي بالحياء حقيقُ

وقال أبو صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي امات وأحيا والذي أمرهُ الأمرُ
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعرُ
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
فيا حبها زدني جوىً كل ليلةٍ ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ
وإني لتعروني لذكراك روعةٌ كما انتفض العصفور بلله القطرُ
وإني لآتيها أريد عتابها وأوعدها بالهجر ما برق الفجرُ
فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهت لا عرفٌ لدي ولا نكرُ
وأنسى الذي قد كنت فيه أتيتها كما قد تنسي لبَّ شاربها الخمرُ

ويمنعني من بعض إنكار ظلمها إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذرُ
مخافة أني قد علمت لئن بدا لي الهجر منها ما على هجرها صبرُ
وأني لا أدري إذا النفس أشرفت على هجرها ما يصنعن بي الهجرُ

وقال قيس بن الملوح:

دعوت إلهي دعوةً ما جهرتها وربي بما تخفي الصدور بصيرُ

لئن كنت تهدي برد أنيابها العلى لأفقر مني، إنني لفقيرُ

فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت فهل يأتيني بالطلاق بشيرُ ؟!

باب في الحكمة

قال مجاهد رحمه الله في قول الله تعالى: " ولقد ءَاتينا لقمان الحكمة " – الفقه والعقل والإصابة في القول.

قال الشاعر:

وكيف تريد أن تدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى ركوبُ

وتضحك دائباً ظهراً لبطنٍ وترتكب الذنوب ولا تتوبُ

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات، ومن لزم الحرص عدم الغنى، ومن طلب الفضول وقع في البلاء

قال عمرو بن معدي كرب :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيعُ

وقرئ على باب مقبرة :

رب قوم قد غنوا في نعمةٍ برهةً والدهر ريان غدقْ

صمت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دماً حين نطقْ

قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ لا يذهب العرف بين الله والناسِ

قال الهذلي :

والنفس طامعةٌ إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليلٍ تقنعُ

أنصاف أبيات

وجرح اللسان كجرح اليدِ

وكيف التظني بالإخاء المغيبِ

رضيت من الغنيمة بالإيابِ

وبالإشقين ما وقع العقابُ

أخنى عليه الذي أخنى على لبدِ

كذي العر يكوى غيره وهو راتعُ

وليس وراء الله للمرء مذهبُ

وربَّ امرئٍ ساعٍ لآخر قاعدِ

- وفي طول عيش المرء برحٌ وتعذيبُ
- فكيف بمن يدمي وليس برامِ
- كصدع الزجاجة لا يلتئمْ
- فقلت: اطمئني أنضر الروض عازبهْ
- والحوض منتظر ورود الواردِ
- يدي عولت في النائبات على يدي
- وأنف الفتى من وجهه وهو أجدعُ
- لو لم يحرج الليث لم يخرج من الأجم
- وفي بعض القلوب عيونُ
- وزلة الرأي تنسي زلة القدم
- إذا الشمس لم تعرف فلا طلع البدرُ
- ومبلغ نفسٍ عذرها مثل منجحِ
- حنانيك بعض الشر أهون من بعضِ
- من قرَّ عيناً بعيشه نفعهْ

وقد يملأ القطر الإناء فيفعمُ

وقد تجمد العينان والقلب موجعُ

وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعاً

قد يوثق المرء امرؤٌ وهو يحقرهْ

والقول تحقره وقد ينمي

من كلام الحكماء في معانٍ شتى

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كائتلاف قطر المطر بماء الأنهار، وبعد قلوب الفجار من الائتلاف – وإن طال تعاشرهم – كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على آريٍ واحدٍ .

قال الحكيم: رأس المداراة ترك المماراة .

من عرف الناس داراهم، ومن جهلهم ماراهم .

قال: ما أكثر ما نعاتب غيرنا على الظنون، ونترك عتاب أنفسنا على اليقين

قال: نعم المعين إظهار الغضب للدين.

قال: ما أدل الحلم على العلم .

قال: من لم يحتمل السفه صار سفيهاً ودخل في أمر قد كرهه من غيره

قال: ما أستر السكوت للجهل

لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف

قال: المحبة الصحيحة: هي التي لا يصلحها نفع ولا يفسدها منع . وقال: من ترك الحلم لم يأمن الذل

من غضب غلب، ومن حلم ظفر

قال: ما أذهب الصمت والسكوت للغضب.

وقال سقراط: طول الأمل ينسي الأجل، واتباع الهوى يصد عن التقوى .

وسئل: ما الحزم ؟ قال: العمل بما تؤمن عواقبه .

قال: السعيد هو من علم وعمل بما علم .

استدم ما تحبّ بحسن الصحبة له يطول مكثه عليك.

من أنصف ألزم نفسه الحقوق الواجبة

سمعت أن ابن المقفع لقي بعض الأكابر، فقال له: بلغني عنك ما كرهته. فقال ابن المقفع: لا أبالي ! قال: ولم ؟ قال: لأنه إن كان حقّاً غفرته، وإن كان باطلاً كذّبته. وهذا من أحسن جوابٍ.

قال: من احترام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه .

كلام سليمان بن داوود عليه السلام

قال: اللسان العجول قريب من الغضب. والقلب الفارغ موكل بالشهوات والأماني

القليل الحظ من الدنيا ساكن القلب .

كلام لغيره

لا تعطين سلاحك لغيرك فيحاربك به

سوء العيش النقلة من منزلٍ إلى منزل(قول برسين الحكيم)

كدَّ عبدك لئلا يتمرد عليك، فإن البطالة تنتج ضروباً من الشرور

وقالت تابوا الحكيمة – وسئلت: أي الألوان أحسن عندك ؟ قالت: الحمرة، قيل لها: ولم ؟ فقالت: لأنها توجد في وجوه المستحين .

الأشرار يتتبعون مساوئ الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه .

إذا أحببت أن يدوم حبك لأحد فأحسن إليه

إذا قامت حجتك على الكريم أكرمك ووقرك، وإذا قامت على خسيسٍ عاداك واضطغنها عليك .

اللسان أسدٌ في غابة، فإن أهيج افترس، وإن ترك خنس

قال: إن حسدك أحد من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك أو تقول عليك ما لم تقل – : فلا تقابله بمثل ما قابلك به، فيعذر نفسه في الإساءة، وتشرع له طريقاً لما يحبه فيك، ولكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها، فإنك تسوؤه من غير أن توجه عليك حجة .

قال: من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك – : ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخطٌ عليك .

قال: ليس الملك من ملك العبيد والعامة، بل من ملك الأحرار وذوي الفضائل. ولا الغني من جمع المال، ولكن من دبره وأحسن إمساكه وتصرفه

ليس القناعة أن تترك كثير الرزق لقليل ما يتحصل لك منه، وهذا بالعجز أشبه منه بالقناعة. وإنما القناعة إيثار القليل مع حرية النفس وترك ركوبها الأخطار واحتمال الذلة .

أفٍ لعقل حجبته الشهوات، وخدعته الشبهات .

إذا تم العقل نقص الكلام

قال الحكيم: إن تعبت في أعمال البر فإن التعب يزول عنك والبر يبقى لك. وإن تلذذت بالإثم فإن اللذة تزول، والإثم باقٍ عليك .

كل راضٍ غني

وقال: من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

رأى أفلاطون رجلاً يكثر الكلام ويقل الاستماع. فقال له: يا هذا، أنصف أذنيك من لسانك، فإن الخالق جل ثناؤه إنما جعل لك أذنين ولساناً واحداً لتسمع ضعف ما تتكلم .

وقال: من لم يراعَ الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته

قال: لقاء أهل الخير عمارة القلوب

قلت(**أبو سهيل**) :(هذا قليل من كثير ، والكتاب مليء بالفوائد والدرر ،فلا تعدل بالأصل بدلا)

والحمد لله رب العالمين